الصراع ... والصراع بالكلمات

شفيق الحوت

من عمق التناقض بينهما ، وما فجره هذا التناقض من تصادم دموي عنيف ومستمر، وصل النقيضان العربي الفلسطيني واليهودي الاسرائيلي الى قناعة مشتركة ، تقول باستحالة تصفية الصراع الدائر بينهما وتأمين حياة طبيعية مستقرة فوق ارض هـذا الصراع ، الا بنصر عسكري استراتيجي يمكّن صاحبه من فرض «وجوده» على انقاض « وجود » الاخر ، وتأمين كل الشروط التي تستتبع ذلك ، مع ضمان استمرارها لفترة تتجاوز الحقبة العابرة ، او المرحلة الطارئة ، الى ما يمكن اعتباره مرحلة تاريخية لم تعد مقوماتها تقبل الجدل او النقاش .

وكل ما يقال ، عند النقيضين ، من كلام يبدو في ظاهره تافزا عن هذه القناعة او متجاهلا لها ، ليس في حقيقته الا لغوا سياسيا يستهدف المكاسب التكتيكية ، او تحايلا لكسب الوقت بانتظار المزيد من الشروط والعوامل التي لا بد مـن توفرها لتحقيق ذلك النصر .

وانطلاقا من هذه القناعة ، وسعيا لتحقيق مضمونها ، فمـن الطبيعي ان يراهن النقيضان على تناقضات الحركة السياسية العامة داخل ارض الصراع وخارجها على امتداد الساحة الدولية .

فبينما يراهن العدو الاسرائيلي على امكانية استمرار التجزئة والتخلف الاقتصادي والتبعية السياسية والعربية للمعسكر الغربي وخصوصا للولايات المتحـدة ، فان الفلسطيني يراهن على امكانية الوحدة وحتمية النهوض الاقتصادي عن طريق تحرير ثرواته الطبيعية وتطوير امكانياته الصناعية والارتقاء الى مستوى العصر من خلال التعاون الشريف مع الدول الاشتراكية والتقدمية وشعوب العالم الثالث المناضلـة لتحقيق نفس الغايات .

ولم تكن حرب تشرين ، كما كانت من قبلها حروب اخرى ثلاث ، الا احدى المحاولات على طريق هذه القناعة المشتركة التي اشرنا اليها . وهي كالحروب التي سبقتها لم تكن الحرب الحاسمة ، مع فارق هام أن العرب ، هذه المرة ولاول مرة ، استطاعوا ان ينتزعوا نصرا وأن لا ينتهوا بهزيمة على أرض القتال .

وان المغالاة في تصوير هذا النصر عندنا على انه النصر الحاسم المطلوب يوقعنا في اوهـام مغرورة بنفس المقدار ، الـذي وقـع فيـه الاسرائيليـون بعـد حـرب حزيران . فحرب تشرين عدلت الكثير من موازين القوى ، وحركت القضية الفلسطينية، وهزت العالم بمعسكريه لبذل المزيد من الجهود للبحث عن « حل » ، واعادت للعربي بعد ثلاث حروب هزم فيها ثقته بنفسه وبقدراته على متابعة الصراع .